

## الشواهد الشعرية لمختلف المستويات اللغوية في الدراسات القرآنية

-تفسير السمين الحلبي لسورة البقرة من "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" أنموذجاً-

Poetic Evidence for the Various Linguistic Levels in Qur'ānic Studies:

An Analytical Study of the Interpretation of Sūrat al-Baqarah in al-Durr al-

Maṣūn fī 'Ulūm al-Kitāb al-Maknūn by al-Samīn al-Ḥalabī as a Model



د. حسام الدين مخلوف

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، (الجزائر)

مخبر البيئية في الدراسات القرآنية والمعارف الإنسانية

المؤلف المراسل: makhlouf-houssemeddine@univ-eloued.dz

تاريخ النشر: 2026/06/30

تاريخ القبول للنشر: 2026/04/05

تاريخ الاستلام: 2025/12/28



**ملخص:** يتناول هذا البحث مسألة مهمة في الدراسات القرآنية تتعلق بالاستشهاد الشعري لمختلف المستويات اللغوية عند السمين الحلبي من خلال دراسة تفسيره لسورة البقرة في كتابه: "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، بوصفه أحد أبرز التفاسير التي أولت اهتماماً بالغاً بالدرس اللغوي في تفسير القرآن الكريم. وقد تميّز السمين الحلبي بسعة اطلاعه في علوم اللغة العربية، ولهذا كان من أكثر المفسرين اهتماماً بالقضايا اللغوية على مستوياتها المختلفة، غير أنّ تفسيره — على رغم قيمته العلمية — لم يحظ بالدراسة اللغوية الكافية مقارنة بغيره من التفاسير. ويُعدّ "الدر المصون" من أضخم التفاسير اللغوية، لما يزر به من ثراء مادته اللغوية، وتنوّع شواهد، ولا سيما في سورة البقرة، حيث بسط المؤلف القول في المعالجة اللغوية، ووظف هذه الآليات اللغوية توظيفاً دقيقاً، مع اعتماد واسع على الشواهد الشعرية، في خدمة الفهم اللغوي للنص القرآني. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي بما يتوافق وطبيعة الموضوع، فجاءت خطة البحث مكونة من مقدمة ومبحثين وخاتمة: تناول المبحث الأول التعريف بالشاهد اللغوي وتوظيفه عند السمين الحلبي، بينما عرض المبحث الثاني المستويات اللغوية مع نماذج من شواهد الشعرية الواردة في تفسير سورة البقرة، لتنتهي الدراسة بخاتمة تضمّنت أبرز النتائج والتوصيات.

**الكلمات المفتاحية:** الشواهد؛ الشعر؛ اللغة؛ الحلبي؛ القرآن.

***Abstract:***

This study addresses an important issue in Qur'anic studies, namely the use of poetic evidence across different linguistic levels by al-Samīn al-Ḥalabī, through an examination of his exegesis of Sūrat al-Baqarah in al-Durr al-Maṣūn fī 'Ulūm al-Kitāb al-Maknūn, regarded as one of the most prominent Qur'ānic commentaries that devote considerable attention to linguistic analysis. Al-Ḥalabī was distinguished by his extensive knowledge of the Arabic language and was among the exegetes most attentive to linguistic matters across various levels. Nevertheless, despite its scholarly value, his commentary has not received adequate linguistic study compared to other tafsīr works. Al-Durr al-Maṣūn is indeed one of the most comprehensive linguistic commentaries, enriched with a vast array of linguistic material, and diverse examples, particularly in Sūrat al-Baqarah, where the author elaborates extensively on linguistic aspects and employs different linguistic mechanisms with precision, relying heavily on linguistic evidence, especially poetic examples, to elucidate the Qur'ānic text. The study adopts a descriptive-analytical approach suitable to the nature of the topic. The research is structured into an introduction, two main sections, and a conclusion. The first section focuses on defining linguistic evidence and its utilization by al-Ḥalabī, while the second section examines the linguistic levels and provides examples of poetic evidence drawn from his commentary on Sūrat al-Baqarah. The study concludes with a summary of the main findings and recommendations.

***key words:*** Evidence; Poetry; Language; Al-Ḥalabī; Qur'ān.

## مقدمة:

بذل المفسرون جهداً كبيراً في خدمة كتاب الله تعالى وكشف معانيه ودقائق دلالاته، مستعينين بجملة من الأدوات اللغوية التي تعين على الفهم والتفسير، ويأتي في مقدمتها الاستشهاد بالشواهد اللغوية، لما لها من دور أساس في بيان وجوه الإعراب، وتوجيه المعاني، وترجيح الأقوال. غير أنَّ المنشغلين بالدراسات القرآنية لم يكونوا على درجة واحدة في توظيف هذه الشواهد والإكثار منها، إذ اختلفت مناهجهم تبعاً لسعة اطلاعهم على اللغة العربية ومصادرها، ومدى ميلهم إلى الدرس اللغوي وشواهد، وقوة حفظهم واستحضارهم للشعر وغيره من مصادر الاحتجاج. ويُعدّ السمين الحلبي من أبرز المفسرين الذين أولوا القضايا اللغوية عناية بالغة، ولا سيما في تفسيره: "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، حيث أفاد من التراث اللغوي والنحوي والصرفي والبلاغي إفادة واسعة، واعتمد الشواهد الشعرية اعتماداً ظاهراً في توجيه الألفاظ والآيات القرآنية وبيان دلالاتها اللغوية والبيانية. ومع ذلك، فإنَّ تفسيره -على الرغم من غزارة مادته- لم يحظ بالدراسات اللغوية التي تكشف عن طبيعة منهجه في الاستشهاد اللغوي، مقارنة بتفاسير كبار المفسرين الآخرين أمثال: الطبري، وأبو حيان، وابن عطية، والزمخشري، وابن عاشور. وانطلاقاً من هذا الفراغ البحثي، تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن معالم منهج السمين الحلبي في توظيف الشواهد اللغوية داخل تفسيره من خلال عينة: "تفسير سورة البقرة". وقد اختير هذا النموذج التطبيقي للدراسة؛ لما تتسم به السورة من طول واتساع موضوعي، ولما يزر به هذا الجزء من تفسيره من تنوع في الشواهد عبر مختلف المستويات اللغوية، إذ بلغ عددها فيه (1063) شاهداً لغوياً.

## إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية هذا البحث حول مدى اعتماد السمين الحلبي على الشواهد الشعرية في دعم تفسيره عبر مختلف المستويات اللغوية.

## أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد الشواهد الشعرية المذكورة في تفسيره وتصنيفها، وبيان طبيعة حضورها ووظائفها، وتحليل آليات استثمارها في خدمة المعنى القرآني.

## المنهج المعتمد في البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، من خلال تتبع هذه الشواهد الشعرية ورصد مواضعها وتحليل وظائفها اللغوية والدلالية في التفسير، مع الاعتماد أساساً على تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط لتفسير: "الدر المصون"، لما اتسم به من ضبط علمي وخدمة دقيقة.

## خطة البحث:

جاءت خطة البحث مكوّنة من مقدمة ومبحثين وخاتمة؛ خُصّص المبحث الأول للتعريف بالشاهد اللغوي وبيان مفهومه ووظيفته وطبيعته عند السمين الحلبي، بينما تناول المبحث الثاني المستويات اللغوية المختلفة، مع تقديم نماذج تطبيقية من الشواهد الشعرية الواردة في تفسير سورة البقرة.

### التعريف بالشاهد اللغوي وطبيعته عند السمين الحلبي

سننظر إلى مفهوم الشاهد اللغوي والمتمثل في كلام العرب الفصحاء، والذي يُستعمل للاستدلال على صحة قاعدة لغوية أو تفسير ظاهرة لغوية معينة، وقد اعتمد عليه العلماء لفهم اللغة العربية وتقعيدها، وفهم القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين. وسنقف على تعريف هذا المصطلح ومدلوله وطبيعته عند السمين الحلبي من خلال تفسيره، وذلك على النحو الآتي:

#### تعريف الشاهد اللغوي:

أثر معظم أهل اللغة -قديمًا- استخدام لفظة "احتجاج" أو "حجة" بدلًا من كلمة "شاهد" أو "استشهاد"، غير أنه بعد القرن الثامن الهجري بدأت لفظة "الاستشهاد" بالانتشار والاستخدام عند علماء اللغة، ومعناه كالآتي:

#### التعريف اللغوي:

مشتق من شهد يشهد فهو شاهد وشهيد، والشهيد من أسماء الله عزوجل، ومن معانيه: الذي لا يغيب عن علمه شيء، والشاهد والشهيد: الحاضر، واستشهده: سأله الشهادة<sup>(1)</sup>.  
وعليه فالشاهد من له أثر دال على وجود شيء، أو حدوثه<sup>(2)</sup>.  
وهو من يؤدي الشهادة، والشاهد الدليل<sup>(3)</sup>.

فالشهادة خبر قاطع، تقول منه: شهد الرجل على كذا... والمشاهدة المعاينة، وشهده شهوداً، أي حضره فهو شاهد، وقوم شهود أي حضور... وأشهدني، أي: أحضرني<sup>(4)</sup>.

#### التعريف الاصطلاحي:

هو قول عربي شعرا كان أو نثرا يؤتى به للاستدلال على رأي أو قاعدة لغوية معينة. فهو إيراد قول منقول عن عربي فصيح سليم اللسان انطبقت عليه شروط الاحتجاج الزمانية والمكانية التي حددها علماء اللغة للاستدلال به على قضية لغوية<sup>(5)</sup>.

والرابط بين التعريف اللغوي والاصطلاحي يكمن في أنّ الشاهد حجة علمية ودليل حاضر على مسألة لغوية. ولهذا يقول سعيد الأفغاني: "إن الاحتجاج الذي هو الاستشهاد، ومعناه إثبات صحة قاعدة، أو استعمال كلمة، أو تركيب بدليل نقلي صحّ سنده إلى عربي فصيح سليم السليقة"<sup>(6)</sup>.

#### طبيعة الشاهد الشعري عند السمين الحلبي:

اهتمّ السمين الحلبي بتوظيف الشاهد الشعري في تفسيره "الدر المصون"، بل وجعله وسيلة أساسية لتوضيح القضايا اللغوية، ولا سيما النحوية والصرفية والبلاغية منها. فكان يستشهد بالشعر العربي لتأييد توجيه إعرابي مثلاً، أو بيان وجه لغوي معيّن، وكان اعتماده على الشعر أكثر، لوصفه ديوان العرب وأكبر مصدر معتمد من مصادر الاحتجاج اللغوي -بعد القرآن الكريم-، كما قال ابن فارس: "والدليل على صحة ما نذهب إليه من التوقيف إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه، أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم..."<sup>(7)</sup>.

وسأذكر أبرز طبقات الشعراء الذين استشهد السمين الحلبي بشعرهم، مكتفياً بالإحالة على أول ورود للشاهد الشعري بذكر الجزء والصفحة من الكتاب مع اسم الشاعر، وراعت ترتيب طبقات الشعراء المعتمد عند أبي زيد القرشي في "جمهرة أشعار العرب"، فجاء ذلك على النحو الآتي:

#### الطبقة الأولى:

أصحاب المعلقات: ومنهم: امرؤ القيس 57/1، النابغة الذبياني 98/1، زهير بن أبي سلمى 12/1، لبيد بن ربيعة 195/1، الأعشى 482/1، عمرو بن كلثوم 345/1، طرفة بن العبد 140/1، عنتر بن شداد 485/2.

#### الطبقة الثانية:

أصحاب المجمعرات: ومنهم: عدي بن زيد 381/1، أمية بن أبي الصلت 493/1، النمر بن تولب 83/6.

#### الطبقة الثالثة:

أصحاب المنتقيات: ومنهم: المسيب بن علس 538/8، والمرقس الأصغر 484/7، والمهمل بن ربيعة 214/1، المتلمس 579/2، وعروة بن الورد 445/6، دريد بن الصمة 23/8، المتنخل الهذلي 584/5.

#### الطبقة الرابعة:

أصحاب المذهبات: ومنهم: حسان بن ثابت 194/1، وعبد الله بن رواحة 591/2، قيس بن الخطيم 213/1.

#### الطبقة الخامسة:

أصحاب المراثي: ومنهم: محمد بن كعب 337/2، وأعشى باهلة 396/3، علقمة الحميري 89/1، متمم بن نويرة 395/7.

#### الطبقة السادسة:

أصحاب المشوبات الشعراء المخضرمين: ومنهم: النابغة الجعدي 61/1، كعب بن زهير 2428، القطامي 34/2، الحطيئة 483/2، الشماخ بن ضرار 470/1.

#### الطبقة السابعة:

أصحاب الملحقات: ومنهم: الفرزدق 123/1، جرير 234/1، الأخطل 441/1، ذو الرمة 18/1، الكميت 117/2.

## المستويات اللغوية وشواهد الشعرية في تفسير سورة البقرة

احتوت سورة البقرة على 1063 شاهدا لغويا في مختلف المستويات اللغوية. وهذا ضمن ما يقارب: 4684 شاهدا في كل الكتاب، وسأذكر بعض النماذج المختارة من تلك الشواهد حسب المستويات اللغوية المختلفة، وذلك على النحو الآتي:

### المستوى المعجمي:

تناول السمين الحلبي في تفسيره لسورة البقرة العديد من المباحث المعجمية، خاصة فيما تعلّق بدلالة بعض المفردات وما دلّت عليه من معنى أصلي واحد أو عدة معان مختلفة، ومن الأمثلة على ذلك:

### رجوعه إلى الاشتقاق والدلالة العامة للجذر اللغوي:

يقف السمين الحلبي عند دلالات بعض الألفاظ موقف المتأمل في معانيها التي تدور حول معنى واحد، على الرغم من ورود ما يلزم من ذلك اللفظ أو ما يقاربه من ألفاظ أخرى، فهو يرجع إلى جذره اللغوي ويبين ما قالته العرب حول ذلك المعنى الواحد وإن تعددت مضامينه، فيقول -مثلا- في تفسيره للفظة: ﴿مِيثَاقٌ﴾: "والميثاق مصدر كالميلاد والميعاد، بمعنى الولادة والوعد...". ثم ذكر دلالة الجذر اللغوي بقوله: "والمادة تدل على الشدّ والربط"<sup>(8)</sup>.

واستشهد على ذلك بقول ابن الأعرابي:

حيّ لا يُحلّ الدهر إلا بإذننا ولا نسأل الأقوام عهد الميثاق<sup>(9)</sup>.

### ذكره لاختلاف الدلالات واللهجات:

نجد السمين الحلبي يقف عند بعض الألفاظ موقف المستقصي لمذاهب اللغويين وآرائهم حولها، متحرّياً الصحة والأقرب للصواب من غير ترجيح، مستشهداً على ذلك بما ورد من كلام العرب من لهجات ودلالات، فيقول -مثلا- في تعريف لفظة ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: "وهو مركب تركيب الإضافة مثل: عبد الله، فإنّ "إسرا" هو العبد بلغتهم، و"إيل" هو الله تعالى، وقيل: "إسرا" مشتق من الأسر وهو القوة، فكان معناه: الذي قواه الله، وقيل: لأنه أسرى بالليل مهاجرا إلى الله تعالى، وقيل: لأنه أسر جنيا كان يطفئ سراج بيت المقدس، قال بعضهم: فعلى هذا يكون بعض الاسم عربيا وبعضه أعجميا، وقد تصرف فيه العرب بلغات كثيرة أفصحها لغة القرآن وهي قراءة الجمهور، وقرأ أبو جعفر والأعمش: "إسرائيل" بياء بعد الألف من غير همزة... إلى أن قال: "ورويت "إسرا" بألف محضة بين الراء واللام"<sup>(10)</sup>.

ثم استشهد بقول الشاعر:

لا أرى من يعينني في حياتي غير نفسي إلا بني إسرائيل<sup>(11)</sup>.

وذكر أنها تروى أيضا: "إسرائيلين" -في لغة تميم-، فأبدلوا من اللام نونا كأصيلان في أصيلا، ثم استشهد على ذلك -أيضا- بقول الشاعر:

قالت وكنت رجلا فطينا هذا ورب البيت إسرائيلينا<sup>(12)</sup>.

## المستوى النحوي:

نجد السمين الحلبي يذكر بعض المباحث النحوية في خضم عرضه لأقوال أهل اللغة في تفسيره لبعض الكلمات وإعرابها، ثم يستطرد في بسط تلك المسائل النحوية مستشهداً لها من مختلف أشعار العرب، ومن ذلك مثلاً:

### تفصيله لظاهرة الاختصاص:

يذكر السمين الحلبي في تفسيره للآية رقم 85 من سورة البقرة خلاف أهل العلم حول "هؤلاء" وإعرابها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ﴾، فقال: "فيه سبعة أقوال: أحدها: وهو الظاهر أنّ أنتم في محل رفع بالابتداء و"هؤلاء" خبره، و"تقتلون" حال العامل فيها اسم الإشارة لما فيه من معنى الفعل..."، وأخذ يعدّد الأقوال ويناقشها، إلى أن وصل إلى القول الرابع فقال في إعراب "أنتم": "مبتدأ، و"هؤلاء" منادى حذف منه حرف النداء، و"تقتلون" خبر المبتدأ، وفصل بالنداء بين المبتدأ وخبره، وهذا لا يجيزه جمهور البصريين، وإنما قال به الفراء وجماعة، وأنشدوا:

إِنَّ الْأَوَّلَى وَصَفُوا قَوْمِي لَهُمْ فَهَيْمٌ      هذا اعتصم تَلَقَّى مِنْ عَادَاكَ مَخْذُولًا<sup>(13)</sup>.  
أي: يا هذا، وهذا لا يجوز عند البصريين، ولذلك لَحَنَ المتنبي في قوله:  
هذي برزت لنا فهجت رسيسا      ثم انصرفت وما شفيت نسيسا<sup>(14)</sup>.  
ثم ذكر بقية الأقوال بشواهد فقال:

"والخامس: أنّ هؤلاء موصول بمعنى الذي، و"تقتلون" صلته، وهو خبر عن "أنتم" أي: أنتم الذين تقتلون، وهذا ليس رأي البصريين، وإنما قال به الكوفيون، وأنشدوا:

عَدَسٌ مَا لِعِبَادِ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ      أَمَنْتَ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقًا<sup>(15)</sup>.

أي: والذي تحملين، ومثله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ أي: وما التي؟

ثم ذكر قول إعرابها على أسلوب الاختصاص وناقشه بقوله<sup>(16)</sup>: "والسادس: أنّ هؤلاء منصوب على الاختصاص، بإضمار "أعني" و"أنتم" مبتدأ، وتقتلون خبره، اعترض بينهما بجمللة الاختصاص، وإليه ذهب ابن كيسان، وهذا لا يجوز، لأن النحويين نصّوا على أنّ الاختصاص لا يكون بالنكرات ولا أسماء الإشارة، والمستقرأ من لسان العرب أنّ المنصوب على الاختصاص: إما "أي"....، أو معرف بأل....، أو بالإضافة... وقد يجيء علماً كقوله: بنا تميما يكشف الضباب<sup>(17)</sup>."

### ذكره للخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين في إعراب "نعم وبئس" مع الترجيح:

يذكر السمين الحلبي الخلاف النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة، ويبين وجه كل قول، ويميل إلى قول من ثبت عنده الشاهد، وإن كان الصواب في تخريجه على غير ذلك الوجه أظهر ذلك، ففي الآية رقم 90 من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا أَشْتَرَوْا﴾، ذكر مذهب الكوفيين وناقشه ووجّه الشاهد النحوي وفق مذهب البصريين، حين قال: "بئس: فعل ماضٍ غير متصرف، معناه الذم... ومثلها "نعم" في جميع ما تقدم من الأحكام واللغات، وزعم الكوفيون أنهما اسمان، مستدلين بدخول حرف الجر عليهما في قولهم: "ما هي بنعم الولد نصرها بكاء وبرها سرقة"، و"نعم السير على بئس العير"، وقوله:

صَبَّحَكَ اللَّهُ بخير باكر بنعم طير وشباب فاخر<sup>(18)</sup>.

وقد خرج البصريون على حذف موصوف، قامت صفته مقامه تقديره: ما هي بولد مقول فيه نعم الولد<sup>(19)</sup>.

### المستوى الصرفي:

تناول السمين الحلبي في تفسيره لسورة البقرة جملةً من القضايا الصرفية وشواهدا التي كان لها أثرٌ بين في توجيه المعنى القرآني وبيان دلالاته. ومن أبرز ما وقف عنده في هذا المستوى مسألة القلب المكاني وما يترتب عليها من اختلاف في بنية الكلمة ودلالاتها، إلى جانب تعرضه لبيان دلالات جمع القلة وجمع الكثرة وأثرهما في توسيع المعنى أو تخصيصه بحسب السياق القرآني. وسنذكر فيما يأتي نماذج مختارة من هذه القضايا:

### تفصيله لمسألة القلب المكاني:

يستطرد السمين الحلبي -كعادته- في عرضه للمباحث الصرفية بشواهدا الشعرية، فمثلا في كلمة ﴿الْمَلِكَةِ﴾ يقول: "واختلف في "ملك" على ستة أقوال، وذلك أنهم اختلفوا في ميمه، هل هي أصلية أو زائدة؟ والقائلون بأصلها اختلفوا، فقال بعضهم: ملك ووزنه فعل من المُلْك، وشدَّ جمعه على "فعائلة" فالشدوذ في جمعه فقط، وقال بعضهم: بل أصله مَلَأَ، والهمزة فيه زائدة كشمأل ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام وحذفت الهمزة تخفيفا، والجمع جاء على أصل الزيادة فهذان قولان عند هؤلاء، والقائلون بزيادتها اختلفوا أيضا، فمهم من قال: هو مشتق من: "أَلَك"، أي: أرسل ففاؤه همزة وعينه لام، ويدل عليه قول:

أبلغ النعمان عني مألكا أنه قد طال حبسي وانتظاري<sup>(20)</sup>.

فأصل ملك: مألَك، ثم قلبت العين إلى موضع الفاء، والفاء إلى موضع العين فصار مألَكا على وزن معفل، ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام وحذفت الهمزة تخفيفا، فيكون وزن ملك: معلا بحذف الفاء، ومنهم من قال: هو مشتق من لأك أي أرسل أيضا، ففاؤه لام وعينه همزة ثم نقلت حركة الهمزة وحذفت كما تقدم، ويدل على ذلك أنه قد نطق بهذا الأصل قال:

فلست لإنسي ولكن ملاك تنزل من جو السماء يصبوب<sup>(21)</sup>.

ثم جاء الجمع على الأصل فردت الهمزة على كلا القولين، فوزن ملائكة على هذا القول: "مفاعلة"، وعلى القول الذي قبله: "معافلة" بالقلب.

وقيل هو مشتق من: لأكه يلوكه أي: أداره يديره؛ لأنَّ الملك يدير الرسالة في فيه، فأصل ملك: مَلُوك، فنقلت حركة الواو إلى اللام الساكنة قبلها، فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب ألفا فصار ملاكا مثل مقام، ثم حذفت الألف تخفيفا فوزنه مَفَل بحذف العين وأصل ملائكة ملاوكة فقلب الواو همزة، ولكن شرط قلب الواو والياء همزة بعد ألف مفاعل أن تكون زائدة نحو عجائز ورسائل، على أنه قد جاء ذلك في الأصلي قليلا قالوا: مصائب ومناير، قرئ شاذا: "معائش" بالهمز، فهذه خمسة أقوال. والسادس: قال النضر بن شميل: "لا اشتقاق للملك عند العرب"<sup>(22)</sup>.

### مناقشته لدلالات جمع التكسير وجمع السلامة:

يناقش السمين الحلبي قول من سبقه من العلماء ولو ورد من النقاد لقوة الشاهد عنده واعتداده به، وحسن توجيهه له، فبعد أن نقل كلام الزمخشري حول وقوع لفظة ﴿الثَّمَرَتِ﴾ موقع الثمر أو الثمار، يعني مما ناب فيه جمع قلة عن جمع كثرة، علّق بقوله: "ولا حاجة تدعو إلى هذا؛ لأنّ جمع السلامة المحلى بأل التي للعموم يقع للكثرة، فلا فرق إذا بين الثمرات والثمار، ولذلك ردّ المحققون قول من ردّ على حسان بن ثابت رضي الله عنه: لنا الجفّنات الغر يلمعن في الضحى وأسيفنا يقطرن من نجدة دما<sup>(23)</sup>."

قالوا: كان ينبغي أن يقول: الجفان، وسيوفنا، لأنه أمدح، وليس بصحيح لما ذكرت لك<sup>(24)</sup>.

### المستوى البلاغي:

أولى السمين الحلبي في تفسيره لسورة البقرة عنايةً واضحة بالجوانب البلاغية وشواهدا، لما لها من دور أساس في إبراز أسرار التعبير القرآني وجمالياته الدلالية. وقد تناول في هذا المستوى عدداً من القضايا البلاغية، ولا سيما مباحث علم البديع وما يندرج تحته من محسنات لفظية ومعنوية، إلى جانب ظاهرة الالتفات بوصفها أسلوباً بلاغياً يضيف على الخطاب القرآني تنوعاً وحيويةً في الدلالة. ولم يكتفِ السمين الحلبي بعرض هذه الظواهر عرضاً نظرياً، بل عمد إلى دعمها بالشواهد الشعرية؛ توضيحاً لأوجه البلاغة، وتقريباً للمعنى، واحتجاجاً للغة العرب في أساليبها، وهو ما سنعرض له من خلال هذه النماذج التطبيقية:

### أسلوب البديع:

استشهد السمين الحلبي بكلام العرب المقارب لمعنى الآية الكريمة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: 179]، فقال: "نظير هذا الكلام قول العرب: "القتل أوفى للقتل"، ويروى أنفى للقتل، ويروى: أكف للقتل، وهذا وإن كان بليغاً فقد أبدت العلماء بينه وبين الآية الكريمة وجوها عديدة في البلاغة وجدت في الآية الكريمة دونه، منها: أنّ في قولهم تكرار الاسم في جملة واحدة. ومنها: أنه لا بد من تقدير حذف لأنّ "أنفى" و "أوفى" و "أكف" أفعال تفضيل فلا بد من تقدير المفضل عليه، أي: أنفى للقتل من ترك القتل. ومنها أنّ القصاص أعمّ إذ يوجد في النفس وفي الطّرف. والقتل لا يكون إلا في النفس. ومنها: أنّ ظاهر قولهم كون وجود الشيء سببا في انتفاء نفسه. ومنها: أنّ في الآية نوعاً من البديع يسمى الطباق، وهو مقابلة الشيء بضده<sup>(25)</sup>."

وأما استشهاده بالشعر في هذه المسألة فكثير، وقد يبين أسرار ذلك البديع أيضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 203] إذ يقول:

قد يدرك المتأنّي بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل<sup>(26)</sup>.

ثمّ قال: وفي هذه الآيات من علم البديع: الطباق، وهو ذكر الشيء وضده في "تعجّل وتأخّر" فهو كقوله: "﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ و﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: 43-44]، وهذا طباق غريب، من حيث جعل ضد "تعجّل": "تأخّر"، وإنما ضد "تعجّل": "تأثّى"، وضد تأخّر تقدّم، ولكنه في "تعجّل" عبّر بالملزوم عن اللازم، وفي "تأخّر" عبّر باللازم عن الملزوم<sup>(27)</sup>."

### أسلوب الالتفات:

نجد السمين الحلبي في حالة عدم استحضاره للشاهد أو عدم وجوده في مسألة معينة، قد يستشهد بشاهد شعري يقابل تلك المسألة، خاصة إذا أراد التنبيه على أن العكس هو الأشهر، ففي الآية رقم 131 من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ﴾، ذكر أن فيها التفات في الخروج من الخطاب إلى الغيبة فقال: "... إذ لو جاء على نسقه لقليل: إذ قلنا؛ لأنه بعد ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ﴾". ثم استشهد بشاهد شعري على عكس ما ورد في الآية فقال: "وعكسه في الخروج من الغيبة إلى الخطاب قوله:

باتت تشكى إلى النفس مجهشة      وقد حملتكَ سبعًا بعد سبعينا<sup>(28)</sup>.

وقد يبين الحكمة من الالتفات أحيانا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: 170]، فالضمير في "لهم" عائد على الناس -على قول- وذلك من باب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ثم قال: "وحكمته أنهم أبرزوا في صورة الغائب الذي يتعجب من فعله، حيث دعي إلى شريعة الله والنور والهدى فأجاب باتباع شريعة أبيه"<sup>(29)</sup>.

### خاتمة:

- من خلال ما سبق بيانه نخلص إلى نتائج كثيرة، من أهمها:
- أن السمين الحلبي كان على قدر كبير من العلم باللغة العربية والإلمام بشواهدا وبما أثر من أشعار العرب سواء على المستوى المعجمي أو النحوي أو الصرفي أو البلاغي.
  - أن السمين الحلبي اهتم كثيرا بالمسائل اللغوية في خدمة الدراسات القرآنية، وقد وظّف هذه الشواهد اللغوية في كل لفظة أو تركيب أحسن توظيف، محاولا استخدامها الاستخدام الأمثل لفهم النص القرآني ودلالاته البيانية.
  - يعتبر تفسير "الدر المصون" من أكبر التفاسير اللغوية، لتمييزه بثناء المادة اللغوية في مختلف مستوياتها، وغزارة الشواهد، ففي تفسيره لسورة البقرة استشهد بـ 1063 شاهد لغوي، في حين أنه قد أورد في كتابه كله ما يقارب: 4684 شاهدا من الشواهد اللغوية المختلفة، وقد استشهد بمختلف طبقات الشعراء من جاهليين ومخضرمين وغيرهم.
  - ومن أهم الاقتراحات والتوصيات ما يلي:
  - جمع هذه الشواهد الواردة في تفسيره ودراستها ومقارنتها بغيرها من الشواهد الواردة في كتب اللغة والتفاسير اللغوية الأخرى، لا سيما وأنّ التفسير يحتوي على شواهد نادرة قلما نجدها في تفاسير وكتب أخرى.
  - إجراء دراسات أكاديمية معمقة حول تفسير "الدر المصون"، فهو لا يزال يحتاج إلى كثير من الدراسات في مختلف الجوانب اللغوية، ومن ذلك مثلا: التركيز على ظاهرة لغوية محدّدة واستقصائها في تفسيره...
  - دراسة هذا التفسير من مختلف المسائل العلمية الأخرى: كمنهجه في عرض علم القراءات والتعامل معها وتوجيهه لها...

### قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، (1960م) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1.
- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (1961م) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، (1952م) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، مصر.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (1990م) المخصص، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، (د.ن) الصحاح في فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (2000م) لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (1993م) تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- الأشموني، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد، (1955م) منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت.
- أمية، بن أبي الصلت، (1998م) ديوان أمية بن أبي الصلت، دار صادر، بيروت.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، (1979م) الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، ط2.
- حسان، بن ثابت، (1966م) ديوان حسان بن ثابت، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت.
- سعيد، الأفغاني، (1994م) في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية.
- السمين، أحمد بن يوسف الحلبي، (2016م) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط4.
- عبد القادر، بن ستالة، (2015م) الشاهد النحوي وأثره في تفسير المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي، مجلة المداد، الجزائر، المجلد3، العدد2.
- عدي، بن زيد، (1965م) ديوان عدي بن زيد، تحقيق: محمد جبار المعبيد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد.
- علقمة، الفحل، (1969م) ملحق ديوان علقمة الفحل، تحقيق: الصقال الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ط1.
- القطامي، عمير بن شميم، (2001م) ديوان القطامي، تحقيق: محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- لبید، بن ربیعة، (1962م) ديوان لبید، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: وزارة الإعلام الكويتية، الكويت.

## الهوامش:

- (1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م، ج8، ص154.
- (2) عبد القادر بن ستالة، الشاهد النحوي وأثره في تفسير المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي، مجلة المداد، الجزائر، المجلد3، العدد2، السنة: 2015م، ص200.
- (3) إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، 1960م، ج1، ص240.
- (4) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، 1979م، ط2، ج2، ص495.
- (5) عبد القادر بن ستالة، مقالة الشاهد النحوي وأثره في تفسير المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي، جامعة الجزائر2، ص4.
- (6) سعيد الأفغاني، في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1994م، ص70-75.
- (7) ابن فارس، الصحاح في فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دن. د.ط، ص6.
- (8) السمين الحلبي أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط4، 2016م، ج1، ص235.
- (9) البيت لعياض بن أم درة الطائي، انظر، ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، مصر، 1952م، ج3، ص157.
- (10) السمين الحلبي، الدر المصون، ج1، ص310-311.
- (11) البيت لأمية بن أبي الصلت، وهو في ديوان أمية بن أبي الصلت، دار صادر، بيروت، 1998م، ص51.
- (12) انظر، ابن سيده، المخصص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1990م، ج13، ص282.
- (13) البيت لرجل من طيء، انظر، أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ط1، ج1، ص290.
- (14) الأشموني، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1955م، ج3، ص137. وفيه أنَّ الرسيس: ما رسَّ في القلب من الهوى، والنسيس: بقية النفس بعد المرض.
- (15) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري، انظر، ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1961م، ص717.
- (16) السمين الحلبي، الدر المصون، ج1، ص474-478.
- (17) البيت لرؤبة، انظر، الأشموني، شرح الأشموني على الألفية، ج3، ص138.
- (18) الأشموني، شرح الأشموني على الألفية، ج3، ص27.
- (19) السمين الحلبي، الدر المصون، ج1، ص474-478.
- (20) البيت لعدي بن زيد، انظر، ديوانه، تحقيق: محمد جبار المعبيد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، 1965م، ص93.
- (21) البيت منسوب لعلقمة، انظر، ملحق ديوان علقمة الفحل، تحقيق: الصقال الخطيب، دار الكتاب العربي، ط1، حلب، 1969م، ص118.
- (22) السمين الحلبي، الدر المصون، ج1، ص249-251.
- (23) انظر، ديوان حسان بن ثابت، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت، 1966م، ص35.
- (24) السمين الحلبي، الدر المصون، ج1، ص194.
- (25) السمين الحلبي، الدر المصون، ج2، ص257.
- (26) البيت للقمامي، انظر، ديوان القمامي، محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص2.
- (27) السمين الحلبي، الدر المصون، ج2، ص345-346.
- (28) البيت للبيد، انظر، ديوان لبيد، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: وزارة الأعلام الكويتية، الكويت، 1962م، ص352.
- (29) السمين الحلبي، الدر المصون، ج2، ص226.